

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً .

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له في كتابه «أصول الإيمان» :

باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم

وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)) ، وفي رواية : أن أبا هريرة قال : اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨] .

هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أورده المصنف رحمه الله في «باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم» ؛ لأن في هذا الحديث ذكراً لوظيفة من وظائف الملائكة وعملاً من أعمال الملائكة ألا وهو التعاقب على الناس بالليل والنهار؛ ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)) والتعاقب: هو أن يأتي فوج أو جماعة ثم يعقبه فوج آخر ، فيصعد فوج ويعرج فوج، ((يتعاقبون فيكم)) أي يأتي جماعات عقب جماعات من ملائكة الله عز وجل ويشهدون أعمال العباد ، وهؤلاء الملائكة غير الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد على الصحيح من أقوال أهل العلم في معنى هذا الحديث .

قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)) ؛ فهؤلاء ملائكة وكل الله عز وجل إليهم التعاقب على العباد ، ويجتمعون في هاتين الصلاتين صلاة الفجر وصلاة العصر ؛ فمن نزل من الملائكة في صلاة الفجر صعد في صلاة العصر ، ويحصل هؤلاء الملائكة المتعاقبين الاجتماع في هاتين الصلاتين، أي يجتمع النازل من الملائكة مع من أراد الصعود والعروج من الملائكة ، فيحصل اجتماع هؤلاء الملائكة في هاتين الصلاتين صلاة الفجر وصلاة العصر، أي أنهم يشهدون الصلاة ويحضرونها ويرون المصلين في صلاتهم، كما تلا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه في معنى هذا الحديث قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨] أي تشهده الملائكة ، وهذا الحديث مما يوضح ويبين معنى الآية ، مشهودا : أي تشهده الملائكة وتحضره الملائكة .

قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر)) أي أن هؤلاء الملائكة المتعاقبين يجتمعون في هاتين الصلاتين صلاة الفجر وصلاة العصر بحيث أن من أراد منهم العروج يجتمع مع النازل من الملائكة في هاتين الصلاتين العظيمتين؛ صلاة الفجر وصلاة العصر ، وهما أفضل الصلوات كما يدل على ذلك أحاديث عديدة ثابتة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم)) هذا فيه من الفائدة أن من نزل من الملائكة مثلاً في صلاة العصر فإنه يبات أي يبقى في الأرض إلى أن يأتي وقت صلاة الفجر ، ويكون عروجهم في وقت صلاة الفجر بحيث يجتمعون

وقت هذه الصلاة مع الملائكة الذين نزلوا وقت صلاة الفجر ، فيصعد أو يعرج من الملائكة من نزلوا في صلاة العصر ويبقى الملائكة الذين نزلوا في صلاة الفجر .

قال: ((**فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -أي الله جل وعلا- وهو أعلم**)) أي أعلم بالملائكة وأعلم بالناس وأعلم بكل شيء تبارك وتعالى ، فإنه عز وجل أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

فيسأل تبارك وتعالى الملائكة يقول لهم جل وعلا : ((**كيف تركتم عبادي؟**)) وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته ، وأنه تبارك وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء سبحانه وتعالى على الوجه اللائق بجلاله سبحانه .

قال: ((**فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**)) أي أن الله سبحانه وتعالى يسألهم عن الحالة التي تركوا عليها عباده ؛ فيجيبون أنهم تركوهم على حالة صلاة الله جل وعلا، وأتوهم أيضا على حال صلاة الله؛ لأنهم أتوهم في صلاة العصر وعرجوا منهم في صلاة الفجر ، فأتوهم وهم يصلون وعرجوا أيضا وهم يصلون ؛ وهذا فيه من الدلالة فضل هاتين الصلاتين العظيمتين صلاة الفجر وصلاة العصر ، وأن هاتين الصلاتين يحضرها هؤلاء الملائكة المتعاقبون ، أو بعبارة أدق يجتمع في حضورها هؤلاء الملائكة المتعاقبون ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في هاتين الصلاتين صلاة الفجر وصلاة العصر .

وهذا مما يُعظم رغبة الإنسان في المحافظة على هاتين الصلاتين والعناية بهما ، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل هاتين الصلاتين على وجه الخصوص أحاديث كثيرة عنه صلوات الله وسلامه عليه وأنها من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : ((**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضاؤون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**)) ؛ صلاة قبل طلوع الشمس: أي صلاة الفجر . وصلاة قبل غروبها: أي صلاة العصر . والأحاديث في بيان شأن هاتين الصلاتين كثيرة جدًا ، ومن ضيَّع هاتين الصلاتين مع ما فيهما من الأجور العظيمة فهو لما سواهما من الصلوات أضيع ، ومن ضيَّع الصلاة المكتوبة فهو لما سواها من دين الله تبارك وتعالى أضيع ، ومن ضيَّع الصلاة لا حظَّ له في الإسلام ، لأنه لا حظ في الإسلام لمن ضيَّع الصلاة .

قال رحمه الله تعالى :

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث : ((**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**)) .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث وهو في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم)) ؛ فذكر عليه الصلاة والسلام الاجتماع في بيت من بيوت الله ، وبيوت الله عز وجل هي المساجد التي أذن الله تبارك وتعالى برفعها لإقامة ذكره جل وعلا فيها ﴿ فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] .

وانتبه هنا لقول رب العالمين تبارك وتعالى ﴿ رِجَالٌ ﴾ ؛ انتبه لهذا حتى نعرف من خلال هذه الآية الكريمة حقيقة الرجولة التي غلط في حقيقتها كثيرٌ من الناس ، بل أصبح معنى الرجولة عند بعضهم هي التعدي والظلم والكبر والتعالي على الناس!! إلى غير ذلك من المعاني التي جاء تحريمها في الشرع ، بينما حقيقة الرجولة الذل لله تبارك وتعالى ولزوم طاعته والقيام بعبادته ، قال جل وعلا: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ ؛ فهذه حقيقة الرجولة وحقيقة المراحل ؛ أن يكون الرجل مطيعاً لربه جل وعلا ممتثالاً لأمره قائماً بطاعته محافظاً على ما أمره الله تبارك وتعالى به من صلاة وعبادة وذل وخضوع لله جل وعلا .

قال: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم)) أي اجتمعوا على القرآن ومدارسة القرآن ، اجتمعوا على القرآن ليس لتلاوة حروفه فقط! بل لتلاوة القرآن وفهم المعاني ، ولهذا قال ((ويتذاكرونه بينهم)) والتذاكر المراد به فهم المعاني وتدبر القرآن الكريم ، كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: ٢٩] ، وقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ، وقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] ، وقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] فاجتمعوا لتلاوة القرآن أي تلاوة آيات القرآن وكلام الله عز وجل ، وتذاكر القرآن بينهم بفهم معانيه ومعرفة دلالاته والتدبر في آياته .

قال: ((يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة)) ؛ نزلت عليهم: أي من الله جل وعلا ، والسكينة: طمأنينة القلب وسكون النفس وراحة الإنسان ، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ؛ فيحصل لهم في مجالس الذكر ومجالس تلاوة القرآن وتدارس القرآن وفهم معانيه سكينة ، أي يحصل لهم من هذه المجالس ما تسكن به قلوبهم وتطمئن نفوسهم ويحصل به راحتهم .

قال ((وغشيتهم الرحمة)) أي عمتهم وغطتهم وشملتهم رحمة الله تبارك وتعالى ، فتكون رحمة الله تبارك وتعالى شاملة لهم ، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم كما جاء ذلكم عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

قال: ((وحفتهم الملائكة)) وهذا الأمر الثالث الذي يفوزون به ويظفرون به ، «وحفتهم الملائكة» : أي أن الملائكة تحف المجتمعين في بيوت الله تبارك وتعالى تحفهم أي تحيط بهم ، وكما يأتي في الحديث اللاحق تغطيتهم بأجنحتها رضاً بما يصنعون ، تحفهم الملائكة ؛ وهذا فيه أن الملائكة يحبون مجالس العلم ومجالس الذكر التي يُتَعَلَّم فيها القرآن ويتفقه الناس فيها في أحكام شرع الله تبارك وتعالى ، فالملائكة تحب هذه المجالس بل تطلب هذه المجالس ، وإذا وجدوها حفوا أهلها والمجتمعين فيها ، قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن لله ملائكةً فضلاً يلتمسون مجالس الذكر)) أي يطلبونها ويبحثون عنها .

قال : ((وذكرهم الله في من عنده)) وهذه فضيلة رابعة يفوز بها المجتمعون لمدارسة القرآن ومذاكرة القرآن في بيوت الله جل وعلا ، قال ((وذكرهم الله فيمن عنده)) : أي أن الله عز وجل يذكرهم عنده أي في المأى الأعلى الكرام الأطهار البررة ، يذكرهم أي بالثناء عليهم ، يثني عليهم رب العالمين جل وعلا في المأى الأعلى ؛ وهذه فضيلة عظيمة للاجتماع في بيوت الله تبارك وتعالى لتلاوة كلامه ومدارسة معاني القرآن الكريم ومعرفة دلالته .

ونظير هذا الذي هو ذكر الله جل وعلا للمجتمعين في بيوت الله عز وجل لتلاوة القرآن ومذاكرته ما جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يقول معاوية: كنا مجتمعين في المسجد حلقة نتذاكر فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ((ما أجلسكم؟)) أي لأي شيء جلستم في المسجد؟ ولأي شيء تحلقتم واجتمعتم؟ قال: «قلنا جلسنا نذكر الإسلام وما منَّ الله علينا به»، فهم جلسوا في المسجد يتذاكرون الإسلام ويتفقهون في أحكامه ويذكرون منَّة الله تبارك وتعالى عليهم بهذا الدين وهديته تبارك وتعالى لهم لدخوله ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((الله ما أجلسكم إلا ذلك؟)) يستحلفهم بالله ((الله ما أجلسكم إلا ذلك؟)) يعني ما جلستم إلا لهذا الغرض؟ ليس لكم غرض آخر؟ هذا هو هدفكم وهذا هو مقصدكم؟ قال: «قلنا والله ما أجلسنا إلا ذلك» ، قال عليه الصلاة والسلام : ((أما والله إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل أنفا فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته)) رواه مسلم في صحيحه . قال ((أما والله إني لم أستحلفكم تهمة لكم)) أي لم أطلب منكم الحلف لأني أتهمكم ، وإنما طلبت منكم الحلف لأن الأمر عظيم للغاية ؛ أتاني جبريل قبل قليل وأخبرني أن الله سبحانه وتعالى يباهي بكم ملائكته .

وهنا ينبغي أن تلاحظ أمراً ؛ ألا وهو أن الله سبحانه وتعالى غني عن العباد ، وغني عن اجتماعهم في المساجد ، وغني عن صلاتهم ، وغني عن حرصهم على العلم وطلبهم له ، وغني عن خضوعهم وسجودهم وركوعهم وعن جميع عباداتهم وطاعاتهم ، وقد قال جل وعلا في الحديث القدسي: ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا نقعي فتنفَعوني ، ولن تبلغوا ضري فتضروني)) ، فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ، لا تنفعه

طاعة الطائعين ولو اجتمع عليها جميع الناس من أولهم إلى آخرهم، ولا يضره معصية العاصين ولو اجتمع على المعصية جميع الناس من أولهم إلى آخرهم ، قال جل وعلا في الحديث القدسي: ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا)) ، فهو جل وعلا لا تنفعه طاعة الطائعين ، وطاعتهم لا تزيد ملك الله تبارك وتعالى شيئا ، ولا تضره سبحانه وتعالى معصية العاصين ، ومعصيتهم لا تُنقص من ملكه تبارك وتعالى شيئا ، بل طاعة الطائع تفيده ومعصية العاصي تضره ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] ، فالذي يطيع هو الذي ينتفع من الطاعة ، والذي يعصي هو الذي يتضرر من المعصية .

والله سبحانه وتعالى مع كمال غناه يحب من عباده الطاعات والاجتماع على الخير وملازمة العبادات، يحب أهل الذكر ومجالس الذكر والاجتماع على طاعته جل وعلا في بيوته وتلاوة كلامه جل وعلا وتذاكر معانيه والتفقه في الدين ، يحب التوابين ويحب المتطهرين ، يحب الطائعين ، يفرح تبارك وتعالى مع كمال غناه بتوبة التائبين ، بل قال عليه الصلاة والسلام: ((لله أشد فرحًا بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم أضل راحلته بفلاة وعليها طعامه وشرابه حتى إذا أيس منها أوى إلى ظل شجرة ونام تحت ظل شجرة ينتظر الموت بينا هو كذلك إذا بخرطام راحلته فأخذ بخرطام راحلته وقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)) ؛ فيقول عليه الصلاة والسلام : لله أشد فرحا بتوبة عبده إذا تاب من فرح هذا الرجل براحلته ، مع أنه سبحانه وتعالى غني عن توبة التائبين وعن طاعة المطيعين وصلاة المصلين وتعلم المتعلمين ، غني عن ذلك تبارك وتعالى كله ولكن هذا يبين لنا كمال فضله وعظيم مننه سبحانه وتعالى على عباده أهل الطاعة وأهل الاجتماع على الخير وأهل الحرص على الفقه في دين الله تبارك وتعالى ، وأنهم يفوزون بهذه الخيرات العظيمة والأفضال الكريمة التي يمن عليهم بها رب العالمين تبارك وتعالى .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: ((ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))؛ من بطأ به عمله: أي كان عمله قاصراً ضعيفاً أو مفراطاً ومضيعاً ، بطأ به عمله عن بلوغ عالي الدرجات، أي قصر به عمله لضعف العمل أو قلته أو نقصه وتفريط صاحبه ، من بطأ به عمله أي عن بلوغ الكمالات والوصول إلى رفيع الرتب لم يسرع به نسبه؛ أي من كان عمله ضعيفاً ناقصاً بطأ به عن بلوغ الرتب العالية لا يسرع به نسبه فيجعله يبلغها ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٢]؛ ثقلت: أي بالأعمال ، فالذي يبطئ به عمله لأنه فرط في العمل وقصر في العمل لا يرفعه نسبه . ولهذا يتمايز الناس ويتفاضلون عند الله تبارك وتعالى بالتقوى كما قال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿[الحجرات: ١٣]﴾، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: ((ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى، أبوكم آدم وكلكم من تراب))؛ لا فضل لعربي على أعجمي ولا عجمي على عربي إلا بالتقوى: أي إلا بتقوى الله تبارك وتعالى أي ملازمة تقواه ، وتقوى الله عز وجل: عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك لمعصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله. فالذي يبطئ به نسبه عن بلوغ الدرجات العالية والمنازل الرفيعة ليس نسبه الذي يسرع به.

وهذا فيه أهمية العمل ومكانة العمل والمحافظة على عبادة الله تبارك وتعالى ، والأنبياء وغيرهم لا يغنون عن أحد شيئا، لا عن قرابتهم ولا عن غيرهم ، النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال لفاطمة رضي الله عنها؟ قال: ((يا فاطمة بنت محمد)) لم يكتف بقوله يا فاطمة بل نصَّ على بنوّتها له قال: ((يا فاطمة بنت محمد سليلي من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)) ، وفي القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَتَاهُمَا﴾ والخيانة هنا خيانة الكفر وليست خيانة الفاحشة والزنا لأنه ما زنت امرأة نبي قط، ﴿فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠] .

جاء في الحديث الصحيح في صحيح البخاري وغيره عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، فيقول إبراهيم لأبيه: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول آزر: الآن لا أعصيك ، فيقول إبراهيم عليه السلام يا رب ألم تعدني أن لا تخزني يوم يبعثون؟ وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تبارك وتعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقول الله سبحانه وتعالى لإبراهيم: انظر إلى أسفل منك فيلتفت وينظر وإذا بذبح -أي يتحول والد إبراهيم على صورة ذبيح وهو ذكر الضباع- ويؤخذ بقوائمه ويُطرح في النار ويلقى في نار جهنم)) والحديث في صحيح البخاري ، قال ((لا أغني عنك من الله شيئا)) فالأنبياء لا يغنون لا عن قرابتهم ولا غيرهم من الله شيئا ، لأن ((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) لم تسرع به قرابته سواء كان أباً أو كانت زوجاً أو كان ابناً ومر معنا الشواهد في ذلك كله ، الأنبياء لا يغنون من الله شيئا ((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) ، جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال أسالك مرافقتك في الجنة قال : ((أعني على نفسك بكثرة السجود)) ؛ لا بد من العمل لا يتكل الإنسان لا على نسب ولا على غيره ، لا بد من العمل قال ((أعني على نفسك بكثرة السجود)) أي حافظ على العبادة والصلاة والطاعة لله تبارك وتعالى ، أما من بطأت به أعماله وفرط في الأعمال متكلاً على نسب أو حسب أو غير ذلك لم تسرع به ولم تقدّمه عند الله سبحانه وتعالى . قال جل وعلا ﴿فَإِذَا

فَنُفِخَ فِيهِ الصُّورُ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠١-١٠٤] والآيات في هذ المعنى كثيرة يقول الله جل وعلا ﴿يَوْمَ يُقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] ؛ لو تطلب الأم من ابنها وهي أعلى ما تكون عنده لو تطلب منه يوم القيامة حسنة واحدة قال لها "نفسي نفسي" ، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ؛ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ أي : أي نفس كانت ومهما كانت ﴿لِنَفْسٍ﴾ أي : أي نفس مهما بلغ قدرها ومكانتها ومنزلتها عند الإنسان ﴿شَيْئًا﴾ أي أي شيء كان ولو شيئا قليلا ، كلها نكرات في سياق النفي : ﴿نَفْسٌ﴾ ، ﴿لِنَفْسٍ﴾ ، ﴿شَيْئًا﴾ ثلاث نكرات في سياق النفي فتفيد العموم ، نفس أيا كانت ، لأي نفس أيا كانت ، في أي شيء أيا كان ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ رب العالمين جل وعلا ؛ ولهذا الأعمال إذا بطأت بالإنسان وأخرته ليس الذي يسرع به نسبه وليس الذي يقدره أي شيء آخر ، إنما الذي يقدم الإنسان وتعلو به درجاته أعماله كما قال الله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَيُفَوِّضُ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩] .

قال رحمه الله تعالى :

وفي المسند والسنن حديث : ((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)) ، والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدا .

ثم ختم رحمه الله تعالى بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)) وهذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند ورواه أهل السنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في فضل طلب العلم وبيان مكانة طلب العلم ، وفيه جمل عديدة اقتصر المصنف رحمه الله تعالى على جملة واحدة منها لتعلقها بالترجمة ألا وهي: ذكر الملائكة والإيمان بهم ، والحديث فيه جمل عديدة في فضل طلب العلم ومكانة العلماء .

يقول عليه الصلاة والسلام : ((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر

الكواكب ، وإن العلماء ليستغفر لهم كل شيء حتى الحيتان في الماء ، وإن العلماء ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) ؛ وهذا الحديث العظيم في فضل العلم رحل رجل من المدينة إلى الشام في زمن الصحابة من أجله ، رحل إلى أبي الدرداء ، والرحلة في ذلك الوقت من المدينة إلى الشام تحتاج من الوقت إلى ما يقارب الشهر ، فرحل إلى أبي الدرداء ولما وصل إليه قال لأبي الدرداء «جئت لحديث بلغني أنك تحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» ، قال: أما جئت لحاجة؟ قال لا ، قال أما جئت لتجارة؟ قال لا قال ما جئت إلا لهذا الحديث؟ قال نعم ؛ فرحل من أجل حديث واحد من المدينة وهذا فيه فضل الرحلة في طلب العلم ، ثم حدّثه أبو الدرداء رضي الله عنه بهذا الحديث العظيم بجُمْلِه الخمس في فضل العلم وفضل العلماء .

والشاهد من هذا الحديث هو ما أورده المصنف رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)) وقوله عليه الصلاة والسلام ((تضع أجنحتها لطالب العلم)) على ظاهره ، ونؤمن به على ظاهره كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ، وهذا الوضع للأجنة هو من الملائكة رضا بما يصنعه طالب العلم ؛ أي رضا بصنيعه في سلوكه طريق العلم وسيره في دروب العلم ، تضع أجنحتها رضا بما يصنع ؛ وهذا فيه فضل طلب العلم والسير في دروبه والجد والاجتهاد فيه .

ففيه فضائل عظيمة منها: أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ، وإن كنا لا نرى الملائكة تضع أجنحتها لطلبة العلم إلا أننا من ذلك على يقين ، لأن الذي أخبرنا بذلك هو الصادق المصدوق وعدم رؤيتنا للملائكة ليس دليلاً على انتفاء الأمر ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ، فالملائكة يحفون مجالس العلم ويحضرونها ويضعون أجنحتهم لطالب العلم ، وإن كنا لا نرى شيئاً من ذلك لكننا من ذلك على يقين لأن الذي أخبرنا بذلك صادقٌ مصدوقٌ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه صلوات الله وسلامه ، وعدم الأبصار ليس دليلاً على انتفاء الأمر ، قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَحَسْبُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي بملائكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥] يعني لا تبصرون الملائكة ، يجلس أولياء المختضر وقربته حوله وتُنزَع روحه من أمامهم وهم يرونه يموت أمامهم وتُنزَع روحه ولا يرون الملائكة الذين جاءوا لقبض روحه ؛ فهل عدم رؤيتهم للملائكة دليل على عدم وجود ملك الموت الذي يأتي لقبض الروح؟ قال ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ فعدم الإبصار وعدم الرؤية ليس دليلاً على انتفاء الأمر ، فإذا جاء الخبر في كتاب الله أو في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام آمناً وصدّقنا ، لأنه كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

ومثل هذه الأحاديث يستفيد منها طالب العلم أنها تزيد في رغبته في الطلب ، وتقلل من وحشته ومن تثبُّطه في طلب العلم ، لأنه يأنس ويفرح ويحس بهذا الفضل العظيم الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام فيأنس بذلك ، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، لماذا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام لنا ذلك؟ لماذا قال لنا ((وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع))؟ هل ذكر لنا ذلك مجرد معلومة نعرفها؟ هل لأجل ذلك ذكر لنا هذا الحديث عليه الصلاة والسلام؟ أم ذكره لنا لنزيد رغبة في طلب العلم؟! هذا مما يزيد في الرغبة، مما يزيد في الرغبة والحرص في طلب العلم أن يعرف أموراً عديدة منها : أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، فهذه المعرفة إضافة إلى أمور كثيرة جاءت في السنة كلها تبعث الإنسان وتحرك في قلبه الحرص والرغبة في طلب العلم وتحصيل العلم ، فهذا من الأمور العظيمة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم .

ويجب على كل إنسان أن يحذر غاية الحذر من رد ذلك أو عدم التصديق به ، وليحذر أيضاً أشد الحذر من السخرية بذلك والتهكم به ، لأن بعض الناس ممن لا دين عندهم ولا تعظيم عندهم لكلام الرسول الكريم الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ربما سخروا من هذه الأشياء، بحجة أنهم لا يرون ولا يشاهدون شيئاً من ذلك وربما سخروا من ذلك وربما تهكموا بذلك . وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في كتاب له عظيم أفرد في شرح حديث أبي الدرداء وهو مطبوع ، وهو من أنفس الكتب في بيان فضل العلم وفضل طلب العلم ، شرح فيه ابن رجب رحمه الله حديث أبي الدرداء المتقدم ، وعند شرحه لهذه الجملة من الحديث أورد قصة لأحد الملاحدة؛ قال: إن أحد الملاحدة مر ببعض طلبة العلم ويستهزئ بهذا الحديث ، سمع بهذا الحديث فأخذ يستهزئ ويتهكم ويقول أروني الملائكة ، ثم إنه من شدة السخرية والتهكم صنع لنفسه حذاء وضع فيه مسامير ، وجاء بهذا الحذاء الذي فيه المسامير وأخذ يمشي بجوار طلبة العلم ويقول لهم "أنا أظأ أجنحة الملائكة بهذا الحذاء" ، قال فتسمرت قدماه؛ ليست قدماه في مكانه ، شلَّ الله تبارك وتعالى قدميه ، وهذه عقوبة معجلة للساخرين والمتهكمين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وما عند الله من العقاب أشد وأبقى .

ومثل هذا ما ذكره النووي رحمه الله في قصة ساخر آخر ومستهزئ آخر لما سمع حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: ((إذا قام أحدكم من فراشه فليغسل يده ثلاثاً ، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)) الكلام واضح قد يكون الإنسان وهو نائم يضع يده يلمس عورته يلمس فرجه وهو نائم ، فلا يدري أين باتت يده ، يعني لا يطمئن أنها بقيت على نظافتها وسلامتها من أن تمس شيئاً من فرجه أو نحو ذلك ، قال ((لا يدري أحدكم أين باتت يده)) فأحد الساخرين المتهكمين سمع هذا الحديث فقال ساخر متهكما : "أنا أدري أين باتت!! باتت معه في فراشه" يقول ذلك ساخر ومتهكما ، فنام ليلة وقام وإذا يده في دبره ، يعني دخلت يده في دبره ، وهذه من العقوبات المعجلة . وإذا سلّم الإنسان من العقوبة المعجلة ولم يتب إلى الله تبارك وتعالى لم يسلم يوم القيامة من العقاب المؤجل وعقاب الله أشد وأبقى يوم القيامة .

ولهذا يجب على الإنسان أن يكون للسنة في قلبه حرمة وتعظيم ، يعظم كلام الله ويعظم كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ويحترمه ويعرف مكانته ويتلقاه بالقبول ، ويعظم كلام الله عز وجل ، ويعرف للسنة عظمتها وقدرها ومكانتها ، ويتلقى أحاديث النبي صلوات الله وسلامه عليه بالقبول .

ثم لما أنهى المصنف رحمه الله تعالى الأحاديث الواردة في ذكر الملائكة وذكر أعمال الملائكة وأوصاف الملائكة إلى غير ذلك مما يتعلق بالملائكة قال في ختام هذا الباب : ((والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جداً))
منبهًا بذلك أنه لم يستوعب في هذا المختصر ما يتعلق بالملائكة ووظائف الملائكة وإنما أشار إلى قليل من ذلك ، والقليل الذي أشار إليه المصنف رحمه الله تبارك وتعالى ينبه على الكثير ويدل عليه ، وينبغي على المسلم أن تعظم عنايته بهذا الأصل العظيم من أصول الإيمان والركن المتين من أركان الدين ألا وهو الإيمان بالملائكة ؛ ولهذا الإيمان آثار عظيمة ومباركة على العبد في الدنيا والآخرة سبق الإشارة إلى شيء منها أثناء عرض الأدلة التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى عن الملائكة والإيمان بهم .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .